QUARTERLY, PEER REVIEWED
al-amir
ISSN(P): 2790-931X ISSN(E): 2790-9328
E-Mail: editor.alamir@gmail.com

بنية الشخصية والحدث في رواية "نزوح مريم" للمحمود حسن الجاسم

The structure of character and event in the novel "Maryam's Exodus" by Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim

Dr. Robina Naz
Lecturer, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad.
Email: robina.naz@iiu.edu.pk

The novel is one of the literary genres that is concerned with social issues, reflects the image of reality in an artistic and aesthetic way, and addresses many psychological and social problems. The writer may resort to it to convey his thoughts, feelings, emotions, and experiences to the recipient. The character is one of the most prominent elements of the novel and is considered the center of the novel's work. Through its interaction, the features of the novel are shaped and the events are formed. It is a figment of the writer's imagination. He transmits life into it and depicts it in an accurate artistic manner. It is the focus of the writer's thoughts and feelings, and helps him understand the events and depict them. Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim embodied the painful reality in his novel *Maryam's Exodus*, which leaves a profound impact on readers. This study attempts to shed light on the construction of character and event in the novel *Maryam's Exodus*, as it presents a depiction of Syrian society with all its political, social, religious and cultural spectrums. Characters interact with events, and events with characters in their formation and construction. This research deals with both of them together to reveal their features, and highlight the way they are presented, their types, functions, and their relationship with the rest of the other narrative components. The study consists of introduction, the two sections, and the conclusion. The introduction includes the importance of the topic, while the first section includes the concept of characters, their types, and their dimensions in the novel, and the second section deals with the concept of the event and its types in the novel. The conclusion includes the most important results reached.

Keywords: Novel, Structure, Character, Event, *Maryam's Exodus*, Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim

الملخص:
إن الرواية من الأجناس الأدبية التي تهتم بالقضايا الاجتماعية، وتعكس صورة الواقع بطريقة فنية جمالية، وتعالج العديد من الإشكاليات النفسية والاجتماعية. وقد يلجأ إليها الأديب لنقل أفكاره وأحاسيسه وعواطفه وتجاربه إلى المتلقي. والشخصية من أبرز عناصر الرواية وتعد مركز العمل الروائي، وتتشكل بتفاعلها ملامح الرواية، وتتكون بها الأحداث، وهي من نسج خيال الأديب، يبثّ فيها الحياة ويصورها بشكل فني دقيق، فهي محور أفكار الأديب وأحاسيسه، وتساعده على فهم الأحداث وتصويرها.

إنّ محمود حسن الجاسم جسّد الواقع المؤلم في روايته "نزوح مريم" الذي يترك أثرا عميقا على القراء. تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على بناء الشخصية والحدث في رواية "نزوح مريم" فهي تقدّم تصوير المجتمع السوري بكل أطيافه السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية. فتعالق الشخصيات مع الأحداث، والأحداث مع الشخصيات في تشكيلها وبناءها، فيتناول هذا البحث كلاهما معا لكشف ملامحهما، وإبراز طريقة تقديمهما، وأنواعهما ووظائفهما وعلاقتهما بباقي المكونات السردية الأخرى

والدراسة تشتمل على المقدمة، والمبحثين، والخاتمة، فالمقدمة تتضمن أهمية الموضوع، والمبحث الأول يشتمل على مفهوم الشخصيات وأنماطها وأبعادها في الرواية أما المبحث الثاني يتناول مفهوم الحدث وأنواعه في الرواية. والخاتمة تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: الرواية، البنية، الشخصية، الحدث، نزوح مريم، محمود حسن الجاسم.

أهمية الموضوع:

إن الرواية من أهم الفنون الأدبية التي تهتم بالمجتمع وتقوم بتصوير الحياة اليومية بتفاصيلها في قالب فني، وتحمل في حضنها الأحداث التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية مع الهموم والهواجس الفكرية والاهتمامات الإيديولوجية، وهي نص سردي يجمع بين الحقيقية والخيال. وتعتبر الشخصية العنصر الحيوي والفعال في البناء السردي، وتؤدي دورا أساسيا في عالم الانتاج الروائي، فهي التي تنتج الأحداث بتفاعلها مع الواقع أو الطبيعة أو تصارعها معها. وهي العنصر الفعال والمحرك الأساسي في تطوير وتنمية العمل الروائي، وتحريك الأحداث، وهي دعامة وركيزة هامة في قيام أي نص أدبي، وغيابها غياب للنص ككل.

فالشخصية تكون مثالا للقارئ والمتلقي، الذي به يستطيع أن يواجه مشاكله، أو يجتنبه ويبتعد عنه وعن تصرفاته. وإنّ بنية الحدث له علاقة وثيقة بالشخصيات بل كل عناصر السرد تقوم بخدمته، والشخصية تساعد في تطوير الحدث لأنها في الواقع جزء من الحدث نفسه.

المبحث الأول: بنية الشخصية وأنماطها وأبعادها في الرواية "نزوح مريم"

مفهوم الشخصية

لغة: الشخصية هي من أهم عناصر البنية السردية والعمود الفقري فلا قصة بلا أفعال وشخصيات، جاء في معجم لسان العرب مادة (ش – خ – ص) والتي تعني سواء الإنسان أو غيره الذي تره من بعيد، أي كل شيء رأيت جثمانه، فقد رأيت شخصه، والشخص هو كل جسم له ارتفاع وظهور وجمعه أشخاص وشخوص، والشخوص ضد الهبوط كما تعني السير من بلد لآخر"[1]، قال الخطابي: "لا يسمى شخصا إلا جسم له شخوص وارتفاع"[2].

أما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في الشيء ومن ذلك الشخص وسواء الانسان إذا سماء من بعيد ثم يحمل على ذلك فيقال شخص من بلد وذلك قياسه، ومنه أيضا شخوص البصر، ويقال شخص شخيص"[3]. فالشخص هنا جاء بمعنى السمو والارتفاع. وكذلك في كتاب العين: الشخص سواء الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمه فقد رأيت شخصه وجمعها شخوص وأشخاص، وشخص بصره إلى السماء إذا ارتفع"[4]. وجاء في تاج العروس: شخص الرجل "ككرم" شخاصه فهو شخيص "بدين وضخم" ويقال: شخص بصره "فهو شخص" فتح عينه وجعل لا يطرق" [5].

---

[1] -Ibn Manẓūr al-Afrīqī, Lisān al-ʿArab (Beirūt: Dār Ṣādir, 2003 AD), Vol 12/ Mādda (shakhṣ).

[2] - Fātiḥ ʿAbd al-Salām, Khiṭāb al-Shakhṣiyya al-Rīfiyya li-l-Adab (dirāsāt, 1st Edition 2001 AD), 36.

[3] - Ibn Fāris, Muʿjam Maqāyīs al-Lugha, taḥqīq: ʿAbd al-Salām Hārūn (Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2nd Edition 2008 AD), 645/ 01 mādda, (shakhṣ),

[4] - Al-Khalīl ibn Aḥmad al-Farāhīdī, Kitāb al-ʿAyn, taḥqīq: ʿAbd al-Ḥamīd Khaṭrāwī (Beirūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1ST Edition: 2003AD, 325/04.

[5] - Muḥammad ibn Aḥmad al-Zubaīdī, Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs, taḥqīq: Ḥusayn Nāṣir (Kuwait: Maṭbaʿat Ḥukūmat al-Kuwayt silsila al-turāth al-ʿArabī), 1969AD, 8/18.

اصطلاحا: يعرفها عبد الملك مرتاض بأنها: "كائن حركي ينهض في العمل السردي يوظفه دون أن يكونه"[6]. وهي التي "تسخر لإنجاز الحدث الذي وكّل الكاتب إليه إنجازه، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوارته وأيديولوجيته أي فلسفة في الحياة"[7].

ويعرفها الدكتور محمد يوسف نجم: "تعتبر الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة، منها أن هناك ميلا طبيعيا عند كل إنسان إلى تحليل نفسي ودراسة للشخصية، فكل منها يميل إلى أن يعرف شيئا عن عمل العقل الإنساني، وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرف تصرفات معينة في الحياة"[8]. ولذلك تعتبر الشخصية "عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها"[9].

تقسم الشخصيات إلى الرئيسية والثانوية، ومن أهمها ما توجد في الرواية هي:

الشخصيات الرئيسية	الشخصيات الثانوية
سارة – مريم – هاشم - خديجة – بشير - حنّا أبو زين – الشاب البابنسي	أب سارة – رنا شلهوب – جورج – أم حميدي – أبو سالم - أبو سلطان – هدى – المهندس الصبحي – ليلى – نورية

1 – **الشخصيات الرئيسية:** (المحرك الأساسي – تدور حولها الأحداث – تمتاز بالتعقيد – والحضور المكثف)

هي المحرك الأساسي لأحداث الرواية: "التي تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخوص حولها، فلا تطغى أي شخصة عليها"[10]. يعني

[6] - ʿAbd al-Malik Murtāḍ, Taḥlīl al-Khiṭāb al-Sardī Muʿālaja Tafkikiyya Sīmiyāʾiyya Murakkaba, "Zuqāq al-Midaqq" Dīwān al-Maṭbūʿāt al-Jāmiʿiyya, al-Jazāʾir, 1995m, p. 126.

[7] - ʿAbd al-Malik Murtāḍ, Fī Naẓariyyat al-Riwāya, Baḥth fī Taqniyyāt wa-Mafāhīm (Kuwait: al-Majlis al-Waṭaniyy li-l-Thaqāfa wa-l-Funūn wa-l-Ādāb, 1998AM, 16.

[8] - Muḥammad Yūsuf Najm, Fann al-Qiṣṣa (Beirūt: Dār al-Thaqāfa, 4th Edition: 1963AM), 51-52.

[9] - Laṭīf Zaytūnī, Muʿjam Muṣṭalaḥāt Naqd al-Riwāya (Beirūt: Dār al-Nahār li-l-Nashr 1st Edition 2002AM, 144.

[10] - ʿAbd al-Qādir Abū Sharīfa wa-Ḥusayn Lāfī Qazzaq: Madhkhal ilā Taḥlīl al-Naṣṣ al-Adabī (Urdan: Dār al-Fikr, 4th Edition 2008AM 135.

تبدأ الأحداث من الشخصية الرئيسية وتحل بها العقدة في الرواية، وهي محرك الوقائع في النص.

ومن الشخصيات الرئيسية:

سارة طوني جبّور: سارة طوني جبور المسيحية زوجة هاشم سعيد الحسين السوري المسلم وأم "مريم" الفتاة الصغيرة. هي الساردة وبطلة الرواية تسرد الأحداث كما جرت أمامها. كانت معلّمة في الريف، تحب هاشم وتزوجت به، وجاءت من محَرْدة إلى الرّقّة أما الفوضى في الرّقّة أثر عليها، والخوف والرعب استقر في دمها، ضاعت زوجها وماتت عمّتها، فعادت إلى محَرْدة لكن الخوف والرغب جرى مع الدم في جسدها، ومرض مريم (ابنتها) يزداد قلقها فالشعور قاتل وقلق يسيطر عليها، وتحسّ بشيء يخنقها، هي تخشى أنها لا تقاوم ريح السموم فتحلم أن تهرب من هذا الجحيم، وتأخذ القرار للهجرة أما في الطريق تموت في مخيمات اللاجيئين.

مريم: بطلة الرواية تدور القصة حولها، هي ابنة وحيدة لسارة وهاشم، وحادثة أخذ هاشم أثرت على نفسيتها حتى أصبحت مريضة، وكان وضعها يتدهور، أحيانا هي تستيقظ في الليالي بصرخات مدويّة، وترتعيش وتتشنج شاخصة كأنها في غيبوبة، وأحيانا تصرخ وتشير بيدها حيث كانت آثار دماء من أبيها. فتعبت أمها من صحتها وصرخاتها المفاجئة وشحوبها، وأخذت القرار أنها تهجر من سوريا إلى أوربا لعلاجها، أما في الطريق أصابت المصيبة وعرفت أنها لا تحيا طويلا فكتبت قصة حياتها إلى صغيرتها فتقول: "إليك – مريم - أدوّن الحكاية...تركت لك مفتاح البيت... ستعودين يا مريم بمفتاح البيت، وتغتسلين بياسمين الوطن لتدفني ذلّ النزوح والضياع، وليضيء جمالك في الدنيا كلّها"[11].

هاشم: كان هاشم مديرا لمزرعة النّجاة جنوب بلدة مَسْكَنَة بين الرّقّة وحلب، وقد عُيّنت سارة معلمة مبتدئة في المزرعة. تدور القصة حول معاناة هذه الأسرة [12].

خديجة: هي كانت أم هاشم وبشير ونورية، ربت أولادها وحدها وعندما كبرت فقدتها. وقد ترك غياب أولادها جروحا عميقة عليها، حتى انطفأ النور من عيونها، وكانت تتمنى لو أنها فقدت الحياة فعلا، تبكي بصمت وأحيانا بصوت مسموع له أنين، حتى ماتت بفراق أولادها. فرسّم الكاتب صورة ألمها وحسرتها وخوفها على فقدان أولادها[13] .

[11] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam (riwāya), (al-ihdā’) (Lebanon: Dār al-Tanwīr li-l-Ṭibā‘a wa-l-Nashr, 1st Edition 2015 AD.

[12] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 11.

[13] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam,117-125.

بشير: أخو هاشم وكان عضوا في حزب البعث كما تقول والدته خديجة عنه: "يظن نفسه أنه مسؤول أمني، وكأنه يقلّد ضابط المخابرات"[14]. وقد دخل الدواعش بيته لالقاء القبض عليه بسبب قربه من النظام.

الشاب البابِنْسِي: قتل في المظاهرة وكأن مقتله كان الشعرة التي قصمت ظهر البعير، واهتزّ الوجدان واختلط الحزن بالخوف، ووجع كبير يمتدّد وينتشر كالسموم في سماء الرّقّة[15].

حنّا أبو زين: "فإن الرجل شديد الدهاء. يعرف أشياء كثيرة، كما أنه شديد المراوغة والغموض. نظرته أقرب إلى نظرة المجرمين المهرّبين بحسب ما أقرأ وأسمع عنهم، وفي عينيه أسرار مربكة غير مريحة"[16]. أشارت إلى شخصية حنّا أبو الزين الذي يساعد الناس في التهرب، ووجدت من حركاته ونظراته أنه رجل شديد الدهاء.

2 - **الشخصيات الثانوية:** "هي تلعب ذلك الدور المساعد للشخصية الرئيسية، فهي التي تضيئ الجوانب الخفية أو المجهولة للشخصية الرئيسية أو تكون أمنية سرها فتبيح لها بالأسرار التي يطلع عليها القارئ"[17]. والشخصية الثانوية هي صديق الشخصية الرئيسية. وهي "تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له، وغالبا ما تظهر في سياق الأحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي وهي بصفة عامة أقل تعقيدا أو عمقا من الشخصيات الرئيسية"[18] بمعنى أنها غير معقدة وواضحة مساعدة للشخصية البطلة أو الرئسية ولا يؤثر غيابها في حركة أحداث الرواية. ومن الشخصيات الثانوية في الرواية:

أب سارة: شخصية تجسد السارد حب الأب وثقته وكذلك غضبه عندما أخذت ابنته قرارا للزواج خارج الطائفة، فخالفها وقطعها ومنعها إلى عودة بيته في محَرْدة، لكنه ما أجبر عليها في الخيار لأنه يثق بها، أما عند ما سمع أحوال سقوط الرقّة فبكى بشدة على حظة ابنته، واتصل بها ودعها إلى محردة[19].

---

14 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 18.

15 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 16-17.

16 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 205.

17 - ʻAbd al-Qādir Abū Sharīfa wa-Ḥusayn Lāfī Qazzaq, Madhkhal ilā Taḥlīl al-Naṣṣ al-Adabī, 135.

18 - Muḥammad Bū Iʻazza, Taḥlīl al-Naṣṣ al-Sardī; Taqniyyāt wa-Mafāhīm (Beirūt: al-Dār al-ʻArabiyya li-l-ʻUlūm, 1st Edition: 2015AD, 57.

19 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 87.

رنا شلهوب: كانت صديقة سارة من الاعدادية إلى الجامعة، كانت جرئية وتحب المغامرات، وبعد دراسة سافرت إلى فرنسا وتعمل هنا في الجامعة، وقد انقطع الاتصال بينهما أما اذا عادت سارة إلى محردة واتصلت بها، فهي أعطتها الفكرة للهجرة، قالت لها: أنا أنصحك بالهجرة يا سارة! الهجرة تجعلك تجددين حياتك من جديدا!" [20].

جورج: عمّ سارة، غاب عن التواصل بها لأنه غضب حين خرجت على عاداتهم بزواجها لكنه في داخله مطمئن لأنها تزوجت من رجل محترم. وعندما عرف عن الوضع الخطير بالرّقّة اتصل بها وتمنى عودتها إلى محَرْدة[21].

أم حميدي: هي معلمة وامرأة خبيرة ولها أهمية وهي تنقل الرسالة من الأستاذ مدير المزرعة إلى معلمة سارة، وصف الرواى خصائصها الجسدية مع خصائص الأخلاقية.

أبو سالم: هو الذي ساعدها دائما، عند أخذ هاشم وعند رحلة من الرقّة إلى محَرْدة في أحوال السيئة تقول: "ليس أمامي إلا بيت أبو سالم. نعم هؤلاء الشجعان أصحاب الشهامة لم يتخلفوا عن مساعدتي يوما، وكأن القدر انتدبهم ليكونوا عونا لي"[22].

أبو سلطان: المساعد لها من المزرعة النّجاة إلى محَرْدة، وقد واجهت صعوبات كثيرة في هذه الرحلة أما أسرة أبو سلطان عاملت معها بحب وخلوص كأنها مازالت زوجة المهندس هاشم مدير المزرعة تقول: "أخجل وأشفق على أبو سلطان لكثرة ما واجهنا، وبرغم كل ما حدث لم تفارقه العزيمة ولا التفاؤل! يشعرني أنه المسؤول عن أماني وعن حياتي"[23].

أبعاد الشخصيات

تعتبر الشخصية المحرك الأساسي للعمل السردي، ولذلك يتم النظر إليها من خلال مجموعة من الأبعاد وهي: الجانب الجسمي، والاجتماعي، والفكري والنفسي. والكاتب الناجح يهتم أثناء بناء شخصياته بهذه الجوانب الأربعة لأنها هي التي تميز الشخصية عن غيرها من الشخصيات وتمنحها الفرادة.

البعد الجسمي	البعد الاجتماعي	البعد الفكري	البعد النفسي
الذكر والأنثى، الطول	السلوك، الأفعال،	الانتماء الفكري،	الحياة الباطنية

[20] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 179.

[21] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 127-128.

[22] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 132.

[23] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 172.

والقصر، الحسن والقبح، اللون، والملابس، السن، القوة والضعف	أحوال المادية والثقافية والتعلمية	العقيدة الدينية	والرغبات الباطنية، المشاعر والانفعالات

أ- البعد الجسمي (الفيزيولوجي)

البعد هو توضيح الملامح الخارجية للقارئ ومدى اتصالها بالشخصية هذا من جهة ومن جهة ثانية رسم صورة الشخصية لدي القارئ، أي أن البعد مهمته وصف الشخصيات من الناحية الشكلية الجسمية، يقول عبد القادر أبو شريفة عن هذا البعد: "كما تعتبر الكيان المادي لتشكيل الشخصية حيث تحدد فيه الملامح والصفات الخارجية، حيث نجد الجنس بنوعيه الذكر والأنثى، وشكل الإنسان من طول أو قصر، ومن قبح أو حسن"[24].

فهذا الجانب يتعلق بحالة الإنسان العضوية أي بالجنس والسّن والطول والقصر والحالة المرفولوجية، ولهذا البعد أهمية كبرى في التحديد والتوضيح ملامح الشخصية، فهو مجموعة الصفات الخارجية الجسمانية التي تتصف بها كل شخصية، سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف الكاتب أو إحدى الشخصيات أو من طرف الشخصية ذاتها عندما تصف نفسها، أو بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها وتصرفاتها. ومن أمثلة البعد الجسمي:

بعد أحداث الرّقّة عادت سارة إلى محَرْدة، وأخذت تذهب إلى الكنيسة للسكينة والتخفّف من الوساوس والخوف والقلق الذي ينخر روحها. فأشارت سارة إلى شخصية الإمام في الكنيسة، وذكرت أن الصفاء الروحي، والسمو عنده مثل الإمام في المسجد وكذلك المشاعر والغاية الروحية فإنها واحدة. وهو رحّب بها بقلب يفيض بالمحبة، كأنّ لديه حاسة عميقة بما تشعر به، فيحاول أن يزيل قلقها، وخوفها حياء واحتراما بعباراته الصافية الصادقة، فيفيض قلبها بسعادة عذبة وشعرت بسكينة، فوصفته قائلة: "شيخ في الستّينات. عريض ضخم طويل القامة جادّ الملامح، في عينيه زهد طافح. حاجباه الكثّان المتقوّسان يشبهان ميزان العدالة في المحاكم. لحيته بيضاء طويلة، وجهه مدوّر ممتلئ، وبشرته بيضاء ويداه ضخمتان"[25]. فوصفت الإمام بطريقة مباشرة أي من الصفات الخارجية مثل: (طويل، حاجباه الكثّان المقتوّسان، لحيته بيضاء، يداه ضخمتان)، وبطريقة غير مباشرة أي من سلوكه وتصرفاته مثل: (في عينيه زهد طافح، ميزان العدالة في المحاكم) واستخدمت التعبيرات التي تشير إلى الصفاء وسموه.

---

[24] - ʿAbd al-Qādir Abū Sharīfa, Madhkhal ilā Taḥlīl al-Naṣṣ al-Adabī, 23.

[25] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 184.

كانت ابنتة سارة مريضة ولعلاجها أخذت القرار للهجرة، واتصلت بالشخص الذي يساعد الناس في أمور الهجرة وهو كان من المهرّبين فوصفت شخصيته (حنّا أبو الزّين) قائلة: "بعد دقائق دخل رجل خمسيني يرتدي المانطو الرصاصي واللفّاحة الزرقاء، وبيده غليون. عرفته بحسب المواصفات ونهضت، ... رجل خمسيني نحيل طويل قليل الشعر، ناعم الصوت، يكثر من حركات العينين والابتسامة كثعلب يتحايل على فريسة"[26]. فقامت بوصفه بطريقة مباشرة وأشارت إلى سنه ولباسه مثل: (نحيل طويل قليل الشعر، يرتدي المانطو الرصاصي) وكذلك بطريقة غير مباشرة وأشارت إلى عادته وسلوكه، وتصرفاته، مثلا (حركة العينين، والابتسمامة) واستخدمت التعبيرات التي تلقي الضوء على شخصيته، وتعكس تصرفاته وحركاته، والوصف الخارجي بنوعيه يجعل الشخصية أكثر وضوحا وفهما.

تذكرت سارة الأيام عندما فتح هاشم لها قلبه ببوح حميمي وبمحبّته الصافية، كلماته مليئة بالتنهّدات والأحلام والطيب والأشجان والمحبة وكذلك مدح بحسنها وجمالها وهي تشعر كأنها امتلكته بالكليّة، فوصفت تلك الصورة قائلة: "يا سارة، لونك بلون الحنطة الفراتية، وشعرك فاحم السواد. بصراحة أنت آية من آيات الجمال العربي الأصيل"[27].

وصفت الساردة أمام المتلقي الخصائص الخارجية التي كان يتسم بها هاشم قائلة: "يهز رأسه بشعره المجَعّد المرتّب، ويوزع ابتسامات جذّابة بأسنان بيضاء وشارب أسود خفيف، ينقّل نظراته بيننا، بعينين واسعتين سوداوين حادّتَي النظر"[28].

يتبين للقارئ من المقاطع السابقة أن الروائي ذكر الملامح الدقيقة لهذه الشخصيات كي يتعرف إليها المتلقي، وكذلك استخدم التعبيرات والدلالات التي تشير أنها هذه الشخصيات قد احيطت بظروف غامضة رغبة اشتراك القارئ معه في رسم ملامح هذه الشخصيات تطبيقا لنظرية التلقي التي تجعل للقارئ دورا مهما في انتاج الدلالة والكشف عن المعاني المستكنة في باطن النص.

ب - البعد الاجتماعي: هذا البعد يصور الحالة الاجتماعية للشخصية سواء كانت غنية أم فقيرة والوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه كما يقول محمد بوعزة: "الحالة الاجتماعية للشخصية من

---

26 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 201.

27 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 95.

28 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 12.

خلال علاقتها مع غيرها من الشخصيات كما يبرز البعد الاجتماعي للشخصية من خلال الصراع بين الشخوص والذي تقل حدته بين شخوص الفئة الواحدة"[29].

ويشمل كل ما يحيط بالشخصية ويؤثر في سلوكياتها وأفعالها، كما أشار جيرار جينيت قائلا: "حيث أنه يمكننا أن نعرف من خلاله كل ما يتعلق بحياة الشخصية كالمستوى التعليمي وأحوالها المادية وعلاقاتها بكل ما حولها"[30]. كانت سارة معلمة وهاشم مديرا لمزرعة النّجاة، وهو كان رجلا مثقفا مليئا بالثقة حين يتحدث يستعمل مفردات تدل على ثقافته، ويتحدث بصوت رخيم مألوف وكان كلامه عذبا جميلا مثل جدول في صحراء حارة. فأشار الراوي إلى وظيفتهما على لسان سارة قائلا: "كان هاشم أبوك مديرا لمزرعة النَّجاة جنوب بلدة مَسْكَنَة بين الرّقّة وحلب، وكنت قد عُيّنت معلّمة مبتدئة في المزرعة، لأمضي خدمة الريف"[31]. فهى تهتم بتصوير الشخصية "من خلال مركزها الاجتماعي وثقافاتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه"[32].

أشارت سارة بطلة الرواية إلى المظاهرات والظلم الذي قاموا بها رجال الأمنية، عيونهم تتحرّك بطريقة شيطانيّة شرسة مُعادية، يتفحّصون هيئتها، ويتبادلون النظرات يتحرّكون، ويتهامسون. ويرفسون على كتفها ووجهها، فأشارت إلى مكانتها أنها معلمة وزوجها مهندس وأخو زوجها يعمل في الأمنية.... ومع ذلك هذه الإهانة؟ فتقول: "أنا معلّمة، اسمي سارة طوني جبّور، زوجة المهندس هاشم الحسين أخو بشير الحسين أمين الشُّعبة"[33]. فقدمت المعلومات حول وضع الاجتماعي لأسرتها. "حين تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعية وأيديولوجياتها وعلاقاتها الاجتماعية المهنة– - طبقتها الاجتماعية ووضعها الاجتماعي مثل الغنى والفقر".[34]

أشارت إلى شخصية حنّا أبو الزّين الذي يساعد الناس في الهجرة ويخادعهم. وأدركت من حركاته ونظراته أنه رجل شديد الدهاء، ذكر لها أن المحطة الأولى في بيروت والثانية في تركيا والثالثة في

[29] - Muḥammad Bū Iʿazza, Taḥlīl al-Naṣṣ al-Sardī; Taqniyyāt wa-Mafāhīm, 47-48.

[30] - Jīrār Jīnīt, Naẓariyyat al-Sard (min Wajhat al-Naẓar wa-l-Ta'thīr), Translation:, Nājjī Muṣṭafā (Manšūrāt al-Ḥiwār al-Akādīmī, 1[ST] Editon: 1989AD), 108

[31] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 11.

[32] Muḥammad Ghunaymī Hilāl, al-Naqd al-Adabī al-Ḥadīth (Egypt: Dār al-Nahḍa, li-l-Ṭibāʿa wa-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ, 1997AD, p. 614.

[33] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 34.

[34] - Sharībiṭ Aḥmad Sharībiṭ, Taṭawwur al-Buniyya al-Fanniyya fī al-Qiṣṣa al-Jazā'iriyya al-Muʿāṣira (1947-1985) (Shām: manšūrāt Ittiḥād Kuttāb al-ʿArab, 1998AD), 49.

اليونان، ثم ينتقل إلى فرنسا جوّا، والرحلة آمنة وغير متعبة، وكذلك ذكر لها أنهم يأخذون ربع المبلغ في البداية، وربع آخر في اليونان، والدفعة الأكبر عند الوصول إلى الهدف النهائي، فتقول: "فإن الرجل شديد الدهاء. يعرف أشياء كثيرة، كما أنه شديد المراوغة والغموض. نظرته أقرب إلى نظرة المجرمين المهرّبين بحسب ما أقرأ وأسمع عنهم، وفي عينيه أسرار مربكة غير مريحة"[35]. يظهر من خلال هذا المقطع أن الكاتب استخدم التعبيرات الدقيقة لكي يتعرّف القارئ على شخصية حنّا أبو الزين أكثر ويستنتج عن علاقته بالمحيط المجتمعي. فإن للبعد الاجتماعي أهمية بالغة في فهم سلوكيات الشخصية والكشف عن خبايا المجتمع.

ج - البعد الفكري:

الملامح الفكرية، هي التي تكشف لنا الشخصية وحالتها الذهنية، وتفسر ردودها فعلها وتوجهاتها، وتعد السمة الجوهرية لتميز الشخصيات بعضها عن بعض كما يقول: "انتماءاتها أو عقيدتها الدينية والأيديولوجية وهويتها – وتكوينها الثقافي، ومالها من تأثير في سلوكها ورؤيتها وتحديد وعيها وموقفها من المواقف العديدة"[36]. ويمكن توضيح هذا البعد في رواية (نزوح مريم) من خلال الشخصيات الرئيسة والثانوية على حد سواء.

د - البعد النفسي:

البعد النفسي أو ما يسمى بالسيكولوجي، وهو الجانب الذي يعكس الحالة النفسية للشخصية فهو إذا "المحكي الذي يقوم به السارد لحركات الحياة الداخلية التي لا تعبر عنها الشخصية بالضرورة عن طريق الكلام، أنه يكشف عما تكشف عليه الشخصية دون أن تقوله بوضوح أو هو ما تخفيه عن نفسها"[37]. ويتمثل هذا البعد في طابع الشخصية وما يميزها عن باقي الشخصيات، كأن تكون طيبة أو شريرة، كما يتجسّد أيضا فيها ما تقوم به وتقوله وما يظهر عليها من انفعالات (حزن، فرح، غضب)، وهذا البعد يعد ثمرة البعدين السابقين والذي يحمل كيانا اجتماعيا وجسمانيا ويمثل البعد النفسي من خلال إبراز الصراع الداخلي وذلك في أشكال الحوا رات الداخلية المختلفة. مثلا:

---

35 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 205.

36 - Bān al-Bannā, al-Bināʾ al-Sardī fī al-Riwāya al-Islāmiyya al-Muʿāṣira (Urdan: ʿĀlam al-Kutub al-Ḥadīth li-l-Nashr wa-l-Tawzīʿ, Irbid, 1st Edition: 2014AD), 86.

37 - Muršid Aḥmad, Al-Buniyya wa-l-Dalāla fī Riwāyāt Ibrāhīm Naṣrallāh (Beirūt: al-Mu'assasa al-ʿArabiyya li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr, 1st Edition: 2005AD), 68.

تسير سارة باتجاه محَرْدة وقلبها خائف تركت محَرْدة وأحلامت حياة سعيدة مع هاشم لكنها خسرت كل شيئ. غياب هاشم، وموت عمّتها خديجة ومرض مريم يقتل شعورها والخوف يبتلع عزيمتها، والأفكار تصارعها تقول: "كنت أغزل أحلامي بحسب ما أشتهي. أمنّي النفس بمستقبل ورديّ بعد زواجي من والدك. رسمته بطريقتي لا كما يرسمه لي القدر! أختنق من وضعي! لماذا؟ لماذا وُجدت؟ لماذا أعاني؟ ما ذنب صغيرتي؟ أتوقف عن هذه الأفكار، وأطلب المغفرة!"[38]. يكشف هذا الحوار عن نفسية سارة، فهو يصف عالمها الداخلي وما يعتريه من آلام وقلق وحيرة، كما يكتشف القارئ من خلال هذا المونولوج الداخلي حالة سارة النفسية وما يجول بداخلها من صراعات وأفكار وعواطف وانفعالات دون وساطة أحد.

اهتم الكاتب بالصفات الداخلية للشخصية المحورية (سارة) من خلال الكشف عن مكوناتها من الداخل، وإبراز مشاعرها وعواطفها وسلوكاتها، وهكذا موقفها من تلك الأحداث المتعلقة بها. وهذا ما وظّفه الكاتب من خلال هذا البعد. فيقول على لسان سارة: "هدير المركب والظلمة الحالكة تركت في داخلي شعورا بأني أخطأت، بل بأني ارتكبت مصيبة بحقّك، يا مريم، في داخلي خوف وندم وخشية من أن يكون خروجي من سوريا خروجا أبديّا"[39]

تهرب سارة من سوريا إلى فرنسا وكل سعيها كانت لابنتها، ووضعها الصحي، أما في الطريق أصابت مصيبة وعانيت من نزيف معوي، وفي المستشفى تركية عندما رأت ابنتها مريم أنها هي أصابت أيضا... والآن هي كانت غائبة، فوضعها يعذبها والندم يجلد قلبها، كانت غربية وحيدة مع ابنتها، ألم يحارق في أحشائها. وفي داخلها شعور قاتل بأنها أخطأت وأن خروجها من سوريا خروجا أبديا. فتقول: "بعد ساعات وإلحاح مني جاؤوا بك ورأيت وجهك المتورّم! صرت أنزف وجعا وندما وشقاء تحسّست فظاعة الكارثة، وشربت دمعي، وكفّنت أحلامي، وتكوّرت على نكبتي!"[40]. استخدم الروائي الكلمات التي تشير إلى ما في أعماق الشخصية من أحاسيس ومشاعر، مثل (صرت أنزف وجعا، كفنت أحلامي) فهذا البعد يهتم بالحالة النفسية والمشاعر والعواطف. أي أن السارد هو الذي يقوم بإبراز ما يدور في ذهن الشخصية وأحوالها النفسية من مشاعر وعواطف وطبائع وسلوكيات، ومواقفها من القضايا التي تحيط بها.

---

[38] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 165.

[39] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 227.

[40] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 233.

"عصف من الحنين حرّك الدموع في قلبي، وسال الوجع على خدي ليغسلني في حضن محَرْدة! تُرى هل أجد سارة الطفلة، المراهقة، الشابّة؟ هل أجد رائحة أمي، وألمس جدران غرفتي وأدور في فضاء الحوش بين زهر الليمون والدالية والبرتقال والجوري"[41]. فيظهر لنا جانبا من مشاعرها وأفكارها وأحاسيسها، وكل ما يشمل الباطن منها، فيظهر الكاتب هذا البعد من خلال إبرازه للصراعات النفسية. فيتضمن النص السردي "أوصاف داخلية والتي يبدع السارد الخارجي في تقديمها بناء على قدرته في معرفة ما يدور في ذهن الشخصية وأعماقها".[42]

خلاصة القول: إن الشخصية مزيج مركب من أربعة أبعاد أساسية لا يمكن الاستغناء عنها في عملية تكوين الشخصية، وأنها متداخلة فيما بينها يؤثر كل منهما على الآخر ويتأثر به، فالطباع رغم أنها فطرية إلا أنها تتأثر بالتربية والبيئة، وبالتالي لا يمكن لأي شخصية أن تكون منعدمة من هذه الأبعاد الأربعة، "فهي مجموعة من الصفات النفسية والجسدية موروثة كانت أو مكتسبة كالعادات والتقاليد والقيم والعواطف متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل معها"[43] .

المبحث الثاني: بنية الحدث في رواية "نزوح مريم"

مفهوم الحدث

لغة: "الحدث والحديث نقيض القديم والقدمة وكون الشيء مسبوقا بالعدم[44]" فهو "عبارة عن وجود شيئ بعد عدمه"[45]

اصطلاحا: تقول ميك بال: "الانتقال من حال إلى حال في غضوان الرواية والقصة"[46]، وعرّفه عبد الله إبراهيم "هو مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص"[47]. وكل حدث محدث (شخصية) تقوم به فلا عمل روائيا بدون شخصيات تؤدي الأحداث وعليه إذا هو

---

41 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 174.

42 - ʿAbd al-Munʿim al-Mīlādī, al-Shakhṣiyya wa-Simātuhā (Sikandriya: Muʾassasat Shabāb al-Jāmiʿa, 2006AD), 25.

43 - Aḥmad Murshid, al-Buniyya wa-l-Dalāla fī Riwāyāt Ibrāhīm Naṣr Allāh, 93.

44 - Ibn Manẓūr, Lisān al-ʿArab, mādda: (ح،د،ت)

45 - Al-Sharīf al-Jurjānī, al-Taʿrīfāt, Researcher: Naṣr al-Dīn Tūnsī, 1st Edition: 2007AD, 78.

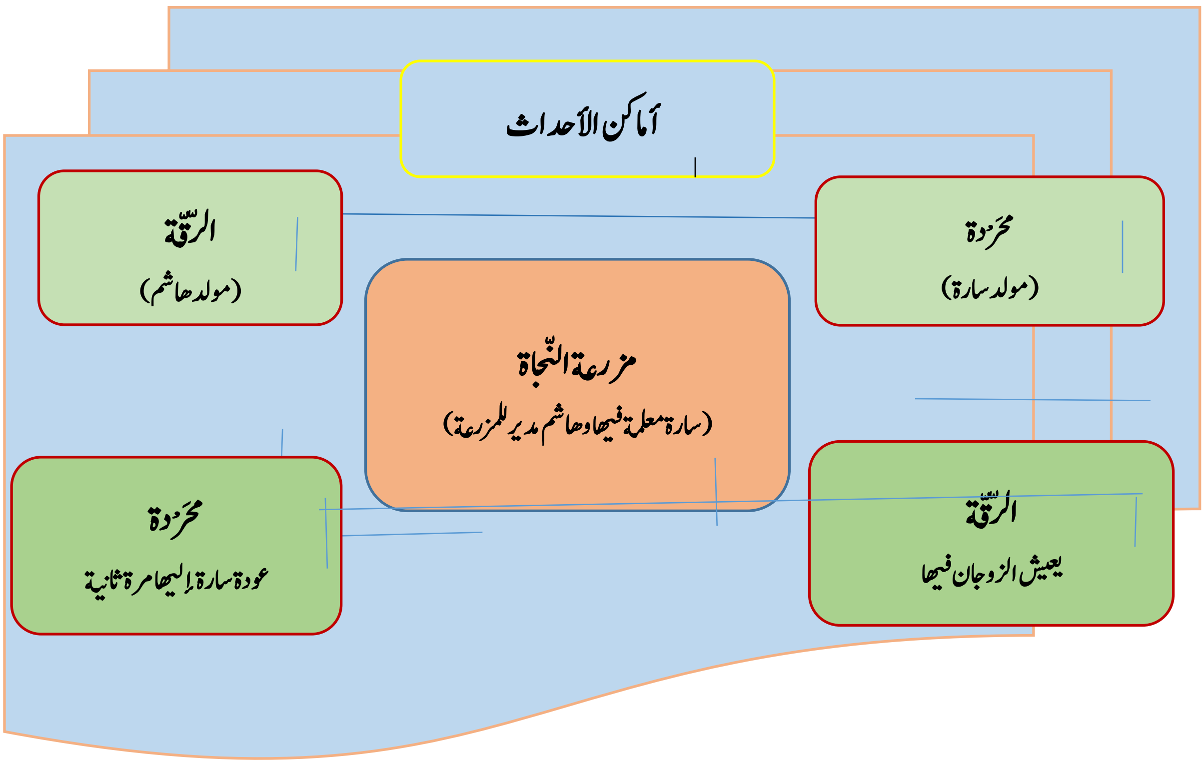
46 - Muḥammad ʿAnānī, Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-Adabiyya al-Ḥadītha (Beirūt: Maktabah Lubnān, 1st Edition: 1996 AM), 27.

47 - Aḥmad Raḥīm al-Khafājī, Al-Muṣṭalaḥ al-Sardī fī al-Naqd al-Adabī al-ʿArabī al-Ḥadīth (Dār Ṣādiq, p. 246.

فعل الشخصية وحركتها داخل القصة وهو يرتبط بوشائج قوية مع بقية الأدوات الفنية الأخرى"[48].

إن بنية الحدث من أهم أساليب السرد وله علاقة وثيقة مع بقية عناصر السرد بل كل عناصر السرد تقوم بخدمته كما يقول: "أن كل ما في نسيج القصة يجب أن يقوم على خدمة الحدث، فيسهم في تصوير الحدث وتطويره، بحيث يصبح كالكائن الحي له شخصية مستقلة، يمكن التعرف عليها، فالأوصاف في القصة لا تصاغ لمجرد الوصف، بل لأنها تساعد الحدث على التطور، لأنها في الواقع جزء من الحدث نفسه"[49]. كما يقول تعريف آخر: "فالكاتب ينقل إلينا الأحداث من خلال تطور شخصيات الرواية، فالشخصية هي التي تحدد للحدث الروائي مساره وتعكس كل ما يوحي به"[50].

تدور أحداث الرواية حول سارة وابنتها مريم وزوجها هاشم في المكان من الرقّة إلى التركي، وإلى غيرهما من مدن الأرض، وفي الزمان أيضا في الماضي والحاضر والمستقبل.



48 - Aḥmad Raḥīm al-Khafājī, Al-Muṣṭalaḥ al-Sardī fī al-Naqd al-Adabī al-ʿArabī al-Ḥadīth, 246.

49 - Dr. Rashād Rashdī, Fann al-Qiṣṣa al-Qaṣīra (Egypt: Maktabat al-Anjlū al-Miṣriyya, al-Qāhira, 2nd Edition: 1964AD, 115-116.

50 - Muhammad Ahmad Al-Quda’at, Al-Tashkīl al-Riwā’ī ‘ind Najīb Maḥfūẓ, Dirāsa fī Tajalliyāt al-Mawrūth (Beirūt: al-Mu’assasa al-ʿArabiyya li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr, 2000AM), 69.

وقد تعددت مسارات الحدث الروائي في الرواية وفقا لمسارات الأماكن في الرواية يمكن أجمالها بأربعات مسارات وهي: المسار الأول: محَرْدة ومزرعة النّجاة. المسار الثاني: الرّقّة. المسار الثالث: محَرْدة. المسار الرابع: من محَرْدة إلى مدينة فرنسا (اليون). إن هذا التعدد في مسارات الرواية يؤدي إلى تفسير ما تنهض به الرواية، من رموز، وإيحاءات. فقد هذه المسارات تواشجت، وتداخلت بعضها البعض وأثر بعضها في بعض. وقد تبدأ الرواية من المسار الثاني.

المسار الثاني: هذا المسار يشير إلى التظاهرات والاحتجاجات في الرّقّة التي انتشرت وامتدت كل أطراف، وانتشرت رائحة الدم ودويّ التكبير والصراخ الحاد في فضاء الرّقّة، وابتعلت أمنها حتى أخذ الناس ينزحون، وأشارت سارة إلى حادثة يوم أخذ زوجها، أنها سمعت الضجيج في الخارج، الصراخ يتعالى ويقترب بيتها، كان طرق شديد على الباب، اقتحموا الباب واندفعوا، يطلقون النار إلى الأعلى وعلى البيت، كان هاشم على الطبق الثانية، ورشق رصاصات إلى الأعلى، أشارت إلى الظلم الذي وقع عليهم، وكأن الدم ينزف من كلماتها، يتقافزون ويصرخون فكانت رائحة الدم في أصواتهم، تقول: "سمعت ضربا ولطمات على الجدار في الأعلى. رصاص ورائحة دم وأنفاس بشرية ثقيلة، انعقد لساني. يداك تتشبثان بساقي... بعيون مذهولة تصرخين... ترتجفين. في حين أقع على الأرض، أشعر بغثيان"[51].

وصفت الوجع الذي ينتشر ويمتدّ في سوريا شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، تهتزّ صورة الدولة، ويملأ قلوب الناس بالخوف. المتظاهرون يهدرون في الشوارع بالعشرات، بالمئات وبالآلاف، جماعات جماعات، أشارت إلى الأمور تسير إلى تحول مخيف مجهول المصير، والبلد دخل مرحلة جديدة. أشارت إلى هاجس مخيف أخذ ينمو بدهاء وخفاء، يحسّه الناس جميعا، يزحف ويدبّ في القلوب. فتقول: "الشوارع تغلي بالتظاهرات. تتفجّر ملتهبة في سماء سوريا. تسيل مثل حمم بركانيّة في معظم المدن والبلدات، وتتزايد يوما بعد يوم، تتعدّد الشِّعارات، تتلوّن، وجائحة الاحتجاجات والتظاهرات انتشرت في الهواء كالطاعون. تفور وتتغذى بالدماء والبارود"[52].

وكذلك أشارت إلى أثر هذه الصراعات على البلد فيما سيحدث بعد ذلك: "بدأت الأسئلة تنقر في دماغي مثل ديوك متصارعة لا ترحم. هل ستتمكن هذه الجماعات، التي ترفع من وتيرة العنف في التظاهرات، من فرض أسلوبها وهزيمة الدولة والمعارضة معا؟ ماذا لو تطوّرت الأمور أكثر؟ كيف

---

[51] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 66-67.

[52] - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 8.

سيكون الوضع؟ وهل الدولة صارت ضعيفة؟"[53]. كانت غارقة في أفكارها وبسبب قلق تتقلب جنب إلى جنب، كأنها تصارع في ذهنها أفكارا متشابكة متداخلة متناقضة مزعجة مثل كتلة غبار لزجة مقيتة.

المسار الأول: محَرْدة ومزرعة النّجاة: هذا المسار يشير إلى حياة سارة حين تقضي حياة سعيدة مع زوجها في مزرعة النجاة فتقول: "حياتي مع والدك كانت ممتعة جميلة، محبته لي مثل قطرات الندى حين تسكبها الغيوم على البراعم والزهور. تُجدّد شبابي كلّ يوم"[54] تذكرت سارة أيام زواجها تمر كالأعراس، قصيرة ولذيذة، نبع من نور وأحلام تغسلهما محبة، لحظات من اللذة تمور في أجسادهما وتموج كالأنغام في أرواحهما...كانت حياتها مع هاشم أسراب فراشات ربيعية وعصافير، ظلال ونسيم.

تقول في مكان آخر: "كانت جلسة ممتعة. دردشنا ودخلنا في موضوعات مختلفة، تعرفت أكثر إلى الحضور، وإلى طبيعة الحياة. وكانت النظرات تتلصّص وتسرق!... وتحوّلني إلى أميرة الجلسة!"[55]. أخذت تتذكر الأيام الجميلة من بداية عملها، بعد أسبوعين من عملها في مدرسة النجاة دعتها زميلتها الآنسة يسرى زوجة المهندس صبحي إلى جلسة عائلية مشتركة، تذكرت هذه الجلسة وأحاديثها بكل جزءيات، وتذكرت حب هاشم سعيد الحسين ورغبته وشوقه إليها، وأشارت إلى اهتمامه ومشاعره التي تحولتها إلى أميرة الجلسة.

المسار الثالث: العودة إلى محردة: هذا المسار يشير إلى عودة سارة إلى محَرْدة، تسير باتجاه محَرْدة وقلبها خائف، تركت محردة وأحلامت حياة سعيدة مع هاشم لكنها خسرت كل شيئ بغياب هاشم، وموت عمّتها خديجة، ومرض مريم يقتل شعورها والخوف يبتلع عزيمتها، والأفكار تصارعها "كنت أغزل أحلامي بحسب ما أشتهي. أمنّي النفس بمستقبل ورديّ بعد زواجي من والدك، رسمته بطريقتي لا كما يرسمه لي القدر! أختنق من وضعي! لماذا؟ لماذا وُجِدَت؟ لماذا أعاني؟ ما ذنب صغيرتي؟ أتوقّف عن هذه الأفكار، وأطلب المغفرة!"[56].

وصلت حماه وركبت حافلة نقل داخلي، تتفحّص المحلّات والأماكن، فكل شيئ اصطبغ بلون الموت، ووجدت أن الشباب متبطلون تائهون، والأطفال وجوههم متشقّقة، والنساء جاثمات

---

53 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 25.

54 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 110.

55 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 23.

56 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 165.

على الأرصفة، والمشرّدون من خارج المدينة يملؤون الطرقات .. بكاء، شكوى ، النزوح لا ينحصر في الرّقّة ولا في مزرعة النجاة، إنه في سوريا كلها والمحظوظ من استطاع اللجوء إلى الخارج. تقول: "يسوقني القدر. بلدي أسير في نفق مخيف لا أدري ما نهايته؟ وأصارع من أجلك، يا مريم. تتزاحم في رأسي الأفكار مثل خليّة نحل. هاشم يعيش في رأسي، والرايات السود تخيّم فوقي. يطوّقني الوجع وتبتعد الضحكات، وطفلتي تتشرّد! يصرخ هاشم ويحتجّ...أي مصير ينتظرنا، يا مريم؟[57].

المسار الرابع: من محَرْدة إلى مدينة فرنسا (اليون): هذا المسار يشير إلى الأحداث التي تقع بعد خروجها من محَرْدة، هي تهرب من السوريا بوضعها السيء وواجهت أسواء الأحوال حتى ماتت. سارة أصابت في الطريق وعانيت من نزيف معوي وهي كانت في المستشفى تركية تشعر بدوار وأحيانا تدخل ما يشبه الغيبوبة وعندما هي رأت ابنتها مريم أنها هي أيضا أصابت مصيبة ... هي تهرب من سوريا بوضعها الصحي كل سعيها كانت لابنتها .... والآن هي كانت غائبة، ووضعها يعذبها والندم يجلد قلبها كانت غربية وحيدة مع ابنتها، ألم يحارق في أحشائها. في داخلها شعور قاتل بأنها أخطأت، وندم وخوف أن خروجها من سوريا خروجا أبديا، فتقول: "بعد ساعات وإلحاح مني جاؤوا بك ورأيت وجهك المتورّم! صرت أنزف وجعا وندما وشقاء تحسّست فظاعة الكارثة، وشربت دمعي، وكفّنت أحلامي، وتكوّرت على نكبتي!"[58].

"كأني سمعت صراخك – يا مريم – شهقتُ ونهضتُ، نار كاوية لسعتني في خاصرتي وبطني! رجلاي لا تقويان على النهوض، لا أرى إلا الحرس وأجسادا ممدّدة في المكان. وأشخاصا يلبسون ثياب شرطة ويرطنون بالتركية!"[59].

لا يمكن للقارئ أو المتلقي أن يفهم باستقلالية تامة هذه المسارات، فكل مسار مرتبط بالآخر، والحدث من أشمل عناصر السردية وله علاقة وثيقة مع الشخصيات والزمان والمكان.

---

57 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 190.

58 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 233.

59 - Maḥmūd Ḥasan al-Jāsim, Nuzūḥ Maryam, 231.

النتائج:

- تعد الشخصية عنصر محوري ومن أهم مقومات العمل الروائي، إذ تشكلّ بناءه وتحكم نسيجه.
- قدّم الراوي من خلال شخصية (مريم وسارة) أن الحرب تعصف كل مكونات المجتمع ويتصاعد أثرها في حياة المرأة والأطفال وتفرض عليهما أن تتحمّل من المسؤوليات ما يفوق طاقتهما.
- قدّم الروائي الشخصيات بالطريقة المباشرة والطريقة غير المباشرة لتحريك الأحداث وتنظيم الأفعال وإعطاء الرواية بعدها الحكائي ولنمو الخطاب داخلها، ولإرتباط ومنح الحيوية للمكونات السردية الآخري كالحدث والزمان والمكان.
- تنقسم الشخصيات في الرواية إلى الشخصيات ريئسية وأخرى ثانوية، وهذا راجع لارتباطها بالحدث.
- قدّم شخصياته بصورة دقيقة، وقريبة من حقيقة المجتمع وواقعه، ورسمها في ذاكرة المتلقي.
- محمود حسن الجاسم جسّد الواقع المؤلم في روايته الذي يترك أثرا عميقا على القراء.
- لجأ الروائي إلى توضيح أبعاد شخصياته في هذه الرواية من خلال الملامح الخارجية والأوصاف النفسية وأحوالها الاجتماعية.
- جاءت أحداث الرواية بتسلسل من بدايتها إلى نهايتها، وتجري على مسارين؛ الأول : يشير إلى حياة سعيدة لسارة في (محردة ومزرعة النجاة) والثاني إلى حياة قاسية لها في (الرقة ومحردة).